Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومثل شاعرية الخنساء لابد أن تكون مصاحبة لها ومعروفة منذ نشأتها ، والروايات لا تختلف فى أنهم طلبوا منها أن ترد على هجاء دريد بن الصمة حين رفضت الخنساء خطبته ، ولكنها قالت : لاأجمع عليه بين الرد والهجاء ، ومعنى ذلك أنها لم تكن حينذاك شاعرة مبتدئة ، وإنما كانت شاعرة قديرة على منافسة الشعراء ، ويترتب على ذلك أن تكون أحلامها فى أن تكون هى الدعامة الأدبية لمجد الأسرة مصاحبة لها منذ مطلع حياتها ، وهذا يعنى أنها أحلام عميقة التغلغل فى نفسها .

وخلاصة هذا أن معاوية وصخرا أخويها قد بلغا أقصى ما يحلم به طالب مجد فى مجتمعها ، وأن الخنساء قد بلغت أقصى ما يحلم به شاعر وأن اجتماع الأمرين فى أسرة واحدة كان أقصى ما تحلم به أسرة عربية حينئذ ، وكان هذا هو الوجه الحسن من حظ الخنساء .

وأما الوجه الذى كان بالقياس إليها سيئًا بالغ السوء من حظها ، فهو أن هذه الشجرة التى ظلت الخنساء ترقبها مزهوة بنموها وازدهارها حتى بلغت فى عينيها عنان السماء تفاجأ بالرياح تعصف بها فرعا إثر آخر ، فإذا هى حطيم ، ولئن كانت الخنساء قد أذهلها سقوط أحد فروع الشجرة معاوية شقيقها حين صرعه هاشم بن حرملة الغطفانى ، فإن آمالها كلها تجمعت فى الفرع الآخر ، فى أخيها غير الشقيق صخر ، ولكنها ما لبثت أن فجعت فيمن تجمعت فيه كل آمالها حين أصابته طعنة فى جنبه ، فهوت به إلى الفراش ، ليبقى به بين الموت والحياة أكثر من عام ، فى حال تصفها زوجه لبعض عائديه حين سألها : كيف أصبح ؟ فقالت : بشر حال ، لاحى فيرجى ، ولا ميت فينعى ، ولقد لقينا منه الأمرين ثم يقضى نحبه ، فتنهار كل آمال الخنساء ، حيث كانت هى فرعا فى الشجرة التى كانت ترجيها لمجد الأسرة ، فلا أظن أننا نبعد عن الحقيقة حين نقول إنها بفقد أخويها شعرت أن فرعها هى قد انهار أيضا ، لأنها لم تر شاعريتها هدفا إلا الإشادة بمجد الأسرة ، ولم تنتج أيضا شاعريتها شيئا فيما بلغنا إلا ما يتعلق بالأسرة والقبيلة ، أما وقد انهار مجد الأسرة فلم يبق لشاعريتها هدف ولا غاية تسعى إليها ، فقد سدت كل السبل أمامها ، وهى لم تلتمس سبيلا إلا سبيلا تؤدى إلى مجد الأسرة والقبيلة ، وحيث سدت أمامها كل السبل ، فلم يعد لديها إلا أن تعود إلى الوراء ، وقد عاشت حياتها الطويلة المديدة بعد ذلك وهى تسير إلى الوراء ، فى صورة